Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجليه قَلَنْسِيتان، ومُستمليه في جوف بئر، وحوله ثلاثة نفر يدقّون بالهواوين، حتّى تكثر الجلبة ويقلّ السّماع، ويصيح مستمليه من جوف البئر من يكتب عذبك الله، ثم يملي عليه، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاّعة، إن كان وضيعاً، وإن كان ذا مروءة رشَّشَ عليه هو بالقصبة من مائها، ثم يحبس في الكنيف إلى أنْ ينفض المجلس، ولا يخرج منه حتّى يغرم درهمين».[14]

أبو العِبَر في مكانٍ عالٍ بينما مستمليه في مكانٍ منخفض. هذه الهيئة جرت التّقاليد بمراعاتها في علاقة الأُستاذ بالتّلميذ، لكن الذي يخالف المألوف هو أنْ يجلس الأُستاذ على سلّم والتّلميذ في جوف بئر، بحيث لا يرى أحدهما الآخر، ومعلوم أنّ تلقين العلم يقتضي النّظر وأن يكون الجانبان وجهاً لوجه. ثم إنّ الدّرس يقتضي السّكون والرّصانة حتّى يبلغ الأُستاذ ما ينوي تبليغه، بدون تشويش واضطراب، وحتّى يُفقه عنه ما يقول ولا يشوب إملاءه خطأ أو تحريف. أمّا ما يمليه أبو العِبَر فإنّه يصل إلى المستملي مبتوراً ومشوهاً بسبب الهواوين التي تدقّ وبسبب الضّوضاء والصخب. فالنّص الذي يكتبه التّلميذ في قعر بئره يختلف لا محالة عن النّص الذي يمليه أبُو العِبَر. لا يلتقط التّلميذ من كلام أُستاذه إلاّ نتفاً وشذرات، وكذلك الأمر بالنّسبة للأشخاص الآخرين الموجودين في المجلس والذين يستحيل عليهم التقاط كلام أبي العِبَر بكامله. وهكذا فإنّ نصّاً واحداً يتحوّل عند تلقيه إلى عِدّة نصوصٍ بحسب عدد المتلقّين. فمجلس أبي العِبَر عبارةٌ عن برج بابل تختلف فيه الألسنة وينعدم فيه التواصُل. ليس الكلام؛ في هذه الحالة، جسراً بين المتكلّم والمخاطب، فالأول يقول شيئاً والثّاني يسمع شيئاً آخر.[15]

14) الإصفهاني، ص. 79 ـ 80.

15) قريباً من هذا المشهد ما اورده السبكي نقلاً عن شخص شاهد أبا العِبَر وسمع كلامه . «لما دخلتُ بغداد سألتُ عن [أبي العبر] فقيل إنّه يعيش وله مجلس فقمت وعمدتُ إلى الكاغد والمحبرة وقصدتُ الشيخ فإذا الدّار مملوءة م أولاد الملوك والأغنياء بأيديهم الأقلام يكتبون وإذا مستمل قائم في صحن الدّار وإذا شيخ في صحن الدّار